

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة المزمل ١-١١-٢-١٤٠٢ ٢

دراسات الاستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل

يَا أَيُّهَا الْمُرْمِلُ (١)

فُجِمَ النَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)

بِصَفِّهِ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣)

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)

سورة المزمل

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و قوله «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا **ثَقِيلًا**» اخبار من الله تعالى لنبيه أنه سيطرح عليه قولاً ثقيلاً.
- و قال الحسن و قتادة: إنه **يثقل العمل به** لمشقة فيه.
- و قال ابن زيد: معناه **العمل به ثقیل فی الميزان** و الأجر، ليس بشاق.
- و قيل: معناه قول **عظيم الشأن**، كما تقول هذا الكلام رزين، و هذا قول له وزن إذا كان واقعاً موقعه.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

• قوله تعالى: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» الثقل كيفية جسمانية من خاصته أنه يشق حمل الجسم الثقيل و نقله من مكان إلى مكان و ربما يستعار للمعاني إذا شق على النفس تحملها أو لم تطقها فربما أضيف إلى القول من جهة معناه فعد **ثقيلا** لتضمنه **معنى يشق على النفس إدراكه** أو **لا تطيق فهمه** أو **تتخرج من تلقيه** كدقائق الأنظار العلمية إذا ألقيت على الأفهام العامة، أو لتضمنه **حقائق يصعب التحقق بها** أو **تكاليف يشق الإتيان بها** و المداومة عليها.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و القرآن قول إلهي ثقیل بكلا المعنيين: أما من حيث **تلقى معناه** فإنه كلام إلهي مأخوذ من ساحة العظمة و الكبرياء لا تتلقاه إلا نفس طاهرة من كل دنس منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه، و كتاب عزيز له ظهر و بطن و تنزيل و تأويل تبياناً لكل شيء،
- و قد كان ثقله مشهوداً من حال النبي ص بما كان يأخذه من البرحاء و شبه الإغماء على ما وردت به الأخبار المستفيضة.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

• و أما من حيث التحقق بحقيقة التوحيد و ما يتبعها من الحقائق الاعتقادية فكفي في الإشارة إلي ثقله قوله تعالى: «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»: الحشر: ٢١، و قوله تعالى: «وَلَوْ أَن قُرْآنًا سِيرَتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى»: الرعد ٣١.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و أما من حيث القيام بما يشتمل عليه من أمر الدعوة و إقامة مراسم الدين الحنيف، و إظهاره على الدين كله فيشهد به ما لقي ص من المصائب و المحن في سبيل الله و الأذى في جنب الله على ما يشهد به الآيات القرآنية الحاكية لما لقيه النبي ص من المشركين و الكفار و المنافقين و الذين في قلوبهم مرض من أنواع الإيذاء و الهزاء و الجفاء.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- فقوله: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» المراد بالقول الثقيل القرآن العظيم على ما يسبق إلى الذهن من سياق هذه الآيات النازلة في أول البعثة، و به فسرهُ المفسرون.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

• و الآية في مقام التعليل للحكم المدلول عليه بقوله: «قُمِ اللَّيْلَ» إلخ فتفيد بمقتضى السياق - و الخطاب خاص بالنبى ص - أن أمره بقيام الليل و التوجه فيه إليه تعالى بصلاة الليل تهيئة له و إعداد لكرامة القرب و شرف الحضور و إلقاء قول ثقیل فقيام الليل هي السبيل المؤدية إلى هذا الموقف الكريم و قد عد سبحانه صلاة الليل سبيلا إليه في قوله الآتى: «إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا».

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و قد زاد سبحانه وعدا على ما في هذه الآية في قوله: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا»: إسرَاء: ٧٩ و قد تقدم معنى المقام المحمود في تفسير الآية.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و إذ كان من ثقل القرآن ثقله من حيث التحقق بحقائقه
و من حيث استجابته فيما يندب إليه من الشرائع و
الأحكام فهو ثقل على الأمة كما هو ثقل عليه ص

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

• و معنى الآية إنا سنوحى إليك قولاً يثقل عليك و على أمتك

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- أما ثقله عليه ص فلما في التحقق بحقائقه من الصعوبة و لما فيه من محنة الرسالة و ما يتبعها من الأذى في جنب الله و ترك الراحة و الدعة و مجاهدة النفس و الانقطاع إلى الله مضافا إلى ما في تلقيه من مصدر الوحي من الجهد،
- و أما ثقله على أمته فلأنهم يشاركونه ص في لزوم التحقق بحقائقه و اتباع أوامره و نواهيه و رعاية حدوده كل طائفة منهم على قدر طاقته.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و للقوم فى معنى ثقل القرآن أقوال أخرى:
- منها: أنه ثقيل بمعنى أنه عظيم الشأن متين رصين كما يقال: هذا كلام له وزن إذا كان واقعا موقعه.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و منها: أنه ثقل في الميزان يوم القيامة حقيقة أو مجازاً بمعنى كثرة الثواب عليه.
- و منها: أنه ثقل على الكفار و المنافقين بما له من الإعجاز و بما فيه من الوعيد.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

- و منها: أن ثقله كناية عن بقاءه على وجه الدهر لأن الثقل من شأنه أن يبقى و يثبت في مكانه.
- و منها: غير ذلك و الوجوه المذكورة و إن كانت لا بأس بها في نفسها لكن ما تقدم من الوجه هو الظاهر السابق إلى الذهن.